

وأعربوا عن كثير من النوايا الطيبة المؤثرة . لقد أعلن بعضهم تنازله عن باقي دين له . وأعلن بعضهم الآخر استعداده لتأجيل تحصيل القسط القادم من الإيجار المطلوب . أما الذين ليس بينهم وبينه التزامات مالية فقد وعدوا في شهامة ، بمساعدته في عمل الحقل . « والله الدنيا لست فيها الخير » . ولكن ما أفدح الثمن الذي دفعه ليحصل على كل هذا الخير ! لو لم يفقد ابنه محمد لما حدث شيء من هذا كله . ولما عطف الناس عليهم كل هذا العطف ، ولا اهتموا بهم كل ذلك الاهتمام .

« محمد ؟ آه ! محمد . فين أنت يا محمد ؟ » .

تعود يد فتضغط قلبه في عنف . مرارة فمه تزداد . شيء يقف في حلقه ، سخونة شديدة في أحشائه . ترتفع حرارة أنفسه وعينيه تحت ضغط شيء في داخلها يحاول أن يخرج ولكنه لا يجد الطريق .

رباه ! كيف حدث هذا كله ؟ الناس يرحون كل يوم ويشفون . بل منهم من تقطع الفأس أصابع قدميه ويشفى . بل من تبتت ساقه أو ذراعه ، بل ساقاه أو ذراعه ، ويظل مع كل ذلك يحيا . فلماذا محمد بالذات يجرح ثم يموت ؟ كان جرحاً عادياً جداً بسيطاً جداً ، فكيف يمكن أن يؤدي إلى الموت ؟

أصابه سلاح المحراث في ساقه ونحمن في الحقل . لم يصرخ . لم يكن حق يتألم صحيح أن دمماً كثيراً نزل في الحال كأن دجاجة ذبحت ، ولكنني أسرعت فلفطست الجرح بالطين ، طين الحقل الطاهر . أسرعنا إلى البيت ، فغسلت الطين عن الجرح ، وكبسته بالبن - والبن مجرب في الجروح - وربطته ربطاً شديداً بقطعة قماش نظيفة غسلتها أم محمد - والله - بيديها .

لم يعد محمد إلى الحقل معي لأنني رأيت له أن يستريح . ذهب إلى الدكان حيث جلس مع بعض أقاربه وأصحابه من الشباب ، وشربوا الشاي ، ربما المعسل . ثم عاد إلى المنزل ، وتأم .

لما استيقظ في المساء كان يتألم . كانت ساقه توجعه ، وجسده ساخناً . طلب ماء شرب بعضه واشتكى برودته . عاد فاستلقى على نفسه هذه الحصيصة التي